مجلة الحكمة للدراسات والأبحاث المجلد 04 العدد 06 (20) 2024/11/15
ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

# التَّعالق الهُويَّاتي بين الذَّات والآخر في رواية "أن تبقى" لـ "خولة حمدي"

فادية بوفروة [1] *
[1] جامعة محمد الصديق بن يحيي جيجل (الجزائر)
fadia.boufroua@univ-jijel.dz
نهاد خلوف [2]
[2] جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)
nihad.KheIIouf@univ-biskra.dz

تاريخ الارسال: 2024/10/06 تاريخ القبول: 2024/11/08

**ملخص:**

إنَّ الدَّارس لرواية أن تبقى لـ " خولة حمدي" يجدها متمثلة لقضايا الرواية العربية المعاصرة، خصوصا ما تعلق بالهُويَّة والغيرية ومسألة العلاقة مع الآخر ومنشغلة بأسئلة الراهن في إثارتها لمفاهيم جدلية مثل: الهُويَّة الدينيّة والهويَّة العرقيَّة، والهويّة الثقافية واختلافها بين شخوص الروايّة والذي نتج عنها الصِّدام حينا والتَّفاهم حينا آخر، من هنا جاءت الدراسة مبنية على إشكالية محورية هي: كيف مثلت هذه الرواية للعلاقة بين الذات والآخر؟. وهل التَّعالق الهُويَّاتي عنصر نماء وبناء للمجتمعات أم عنصر دمار وعرقلة للحركية الاجتماعية؟ .

سنسعى للإجابة عن هذه الأسئلة بالكشف عن العناصر المكَّونة للهُويَّة، وبالتَّالي التَّمكن من إبراز دور الكتابات الرّوائية في معالجة إشكالية الهُويّة التي تضطرم في أعماق المجتمعات وتختلج ثناياها، متوصلين إلى نتائج من أهمها أنَّ الخلل لايكمن في الهُويَّة وتعدّدها وتنوّعها، وإنّما يكمن في المستوى الذي يحكم عقول الأفراد و يتحكم في مسار حياتهم.

**الكلمات المفتاحية:** الهوية، الذات، الآخر، أن تبقى، خولة حمدي.

* **فادية بوفروة:** fadia.boufroua@univ-jijel.dz

**مقدمة:**

لما كانت المجتمعات الإنسانيَّة اليوم في انفتاح وتفاعل دائم يجعل من الأفراد على اختلاف هويَّاتهم العرقيَّة والدينيَّة، اللُّغويَّة والثّقافيَّة، ينتظمون داخل مجتمع واحد، فإنَّ الكثير منهم يعانون من تعالق هويَّاتهم بين هويتهم الأصلية بالوراثة والأصل، وهويتهم بالإنتماء والنشأة، خاصة مع مزدوجي الهويَّة الأمر الذي تمكنت الرواية قيد الدراسة من تصويره وتمثيله في ثنايا أحداثها، وعليه نطرح التَّساؤل الآتي كيف رصدت الرّواية هذا التَّعالق الهويَّاتي؟ ومن ثَّم كيف مثلت للعلاقة بين الذَّات والآخر؟. الأمر الذي سنسعى إلى الكَشف عنه من النَّسيج النَّصي من خلال العناصر المكونة للهُويَّة.

بناء على ذلك، نبين أنَّ الهُويَّة لكل إنسان مصدر تعريف وإثبات للوجود والكينونة، لأنها بمثابة الشفرة أو البصمة التّي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرِف نفسه و ويعرفها للآخرين كذلك؛ بحمله لصفات جوهرية تجعله متميزا متفردا مختلفا عن الأغيار، الذين يتمايزون عنه كذلك بأصولهم وثقافتهم، وديانتهم ولغتهم .

**أولا– مفهوم التَّعالق الهُويَّاتي وأركان الهُويَّة:**

إنَّ مصطلح " التَّعالق الهويَّاتي" مركّب من مفردتين ينبغي البَّحث في معنييهما ودلالتهما اللُّغوية، والتَّعالق كمفردة لغوية يؤول إلى الجذر اللُّغوي "عَلَق" الذي يحيل إلى معنى الإرتباط والتَّماسك والتلازم بين شيئين، أما الهُويَّة فهي مشتقة من المصدر الصناعيّ هويَّة، والتّي تحيل إلى حقيقة الشيء أو الشخص وصفاته الجوهرية التّي تجعله مميزا عن الغير، وإذا اجتمعت مفردة التَّعالق مع الهُويَّة نكون أمام مصطلح "التَّعالق الهُويَّاتي" الذي يشير إلى دلالتين؛ أولهما الارتباط الوثيق والتماسك الشّديد بين الإنسان وهويّته على اختلاف أركانها وأنواعها، والآخر يشير إلى التشابك والتفاعل بين الأفراد والشعوب، على اختلاف هويّاتهم العرقية والدّينية، اللُّغوية والثقافية، ومن ثَّم يحدث التّأثير والتأثر الذي يؤدي إلى التّفاهم حينا وإلى الصدام والصراع أحيانا أخرى.

الهُويَّة في كل أمة عماد حاضرها ومطمح مستقبلها، ومكنون تاريخها؛ إذ لا يمكن لأيّ أمة من الأمم أن تحيا دون هُويَّة تضمن بقاءها واستمرارها، وتثبت وجودها وحضورها، ومنه فهي مطلب فرديّ وجماعيّ ضروريّ لا تقل أهميته عن أي مطلب من مطالب الحياة الأساسية تتمايز الأمم بها وتتفاضل وتؤكد وحدتها وانتمائها. ومهما تنوعت الهويات وتعددت حسب أركان الهويَّة لكلّ أمّة يبقى الاعتقاد بأنَّ أركان الهُويَّة تدور في فلك اللُّغة والدّين الوطن الثَّقافة والعرق.

**1- اللُّغة:**

من الأركان الأساسيّة للهُويَّة نذكر اللُّغة باعتبارها مقوما أساسيًّا في تحديد وتعيين هويّة أمة ما، وصياغة روحها وحياتها وتشكيل هويّتها، وبين اللّغة والهوية علاقة التزام فلا الهويَّة بإمكانها التّحقق من دون اللّغة، ولا اللغة قادرة على الحياة دون هُويَّة «**وترتبط الهويّة باللّغة ارتباطًا وثيقًا، ارتباط العلّة بالمعلول، وعلى سبيل التأثير والتشكيل والتمثيل، فالواحدة منهما تؤثر في الأخرى وتشكلها وتمثلها، فالهوية حالة في اللغة لأنّ كل لغة لها هويتها الخاصة بها، وتعبّر اللّغة عن الهويّة كما تعبّر الهويّة عن اللّغة**» (ربوح، 2016، صفحة 169). وكل منهما أي اللّغة والهويّة سمة للإنسان الذّي ميزه الله عزّ وجل عن غيره من المخلوقات بالفكر. فالعلاقة بين الفكر واللّغة والهوية هي علاقة اتصال وتفاعل.

**2- الدين:**

كلما تعددت مكونات الهوية كلما كانت الجماعة البشرية أكثر انسجاما وتماسكا، ويعد الدين من أبرزها كركن فاعل حاصل الممارسات الدينية لمختلف الشعوب منذ القدم على اختلافها وتعدّدها، فنجد الديانة الإسلامية، والديانة المسيحية، والديانة الهندية، والديانة اليهودية وغيرها، ولكلّ منها معتقداتها ومبادؤها وأغلب هذه الأديان موغلة في القدم تحققت عبر السيرورة التاريخية «**فسواء كنا بصدد المجتمع الإسلامي أو المجتمع المسيحي، أم كنا بصدد المجتمعات التي تحجرت اليوم واختفت تمامًا من الوجود، نستطيع أن نقرر أنّ الفكرة التي غرست بذورها في حقل التاريخ هي فكرة دينية**» (نبي، 2006، صفحة

56). باعتبارها قوّة تنظيمية ينقل الأفراد تعاليمها ويتداولونها مع بعضهم البعض كضرورة حتمية ضمن الجماعة التي تسعى إلى إيجاد نوع من التقارب بينها بتأكيد معتقد مشترك يجمعها ويربطها.

**3- الوطن:**

الوطن محضن جغرافيّ لهوية الفرد يتأصل به كيانه البشري والإنسانيّ، في نسيج تاريخي، فهو الجوهر الذي يربط الإنسان بمكان وجوده الذي كبر فيه وترعرع، وتحددت ملامحه وصفاته الجسدية، وحتى توجهاته وتصرفاته.

ونبين فكرة الوطن بالعودة إلى معجم العين «**الوَطن: موطِنُ الإنسان ومَحَلُّه... وأوطانُ الأغنام: مرابضُها التي تأوي إليها، ويقال: أوْطَنَ فلانٌ أرض كذا، أي اتَّخذها مَحَلاً ومَسْكَناً يُقيم بها**» (الفراهيدي، 2004، صفحة 907). بناء عليه، فكلمة وطن تحيل إلى المكان الذي يتّخذه الفرد محلا للمسكن والإقامة والاستيطان.

يعود بنا الحديث عن الوطن إلى الحديث عن الدولة التّي تقوم على مكونات أساسية (الإقليم، الشعب، السلطة)؛ إذ لا يمكن تصور دولة بدون شعب ولايمكن تصوّر دولة من دون إقليم، تمارس عليهم سيادتها وسلطتها «**إذن مفهوم الهوية، ولأنه مرتبط بالأرض ومستمد منها وتعبير عن الانتماء إليها، فهو لا ينفصل عن مفهوم الدولة التي لا وجود لها إلا بوجود أرض تنتمي إليها وتمارس عليها سيادتها باسم هذا الانتماء. فهويّة الدولة إذن، هي العنوان الكبير المعبّر هن هوية الأرض والوطن والشعب**» (بودهان، 2013). بناء عليه، نستشف أنّ هناك ترابطا وثيقا بين الهوية والأرض والدولة، هذه الأخيرة التي منحت للمواطن الشعور بالانتماء إلى هوية جامعة تتجاوز الانتماء العرقي والديني، في محاولة لجمع وربط الناس بعضهم ببعض في إقليم واضح المعالم والحدود وبالتالي أصبحت الدولة مرتبطة بمسألة الهوية.

**4- العرق:**

لطالما كان العرق في حقب تاريخية ماضية عاملاً أساسيًا في تحديد هُويَّة الجماعات، فهو بالطبع كغيره من العناصر يساهم في إعطاء الفرد الشعور بالانتماء والهُويَّة، بناءً على هذه الصلة سنحاول تبيان العلاقة القائمة بينهما.

للعرق أهمية في تشكيل الهوية فـ «**هو دالة الهويّة الأولى التي لا تمحى ولا تزال هذه الدالة في بعض أجزاء العالم تحضى بالأهمية الغالبة**» (لويس، 2006، صفحة 63). ومنه، يمكننا القول إنَّ الهُويَّة ـ فيما يبدو ـ بإمكانها الإشارة إلى هذه الجماعات العرقيَّة التي تُحيل بالضرورة إلى الجماعة التي ينتمي إليها الفرد بشكل أصيل فهو يشترك معها في مقومات بيولوجية، وأخرى ثقافية بما يحفظ له مكانته داخل النِّظام الجماعي، فينخرط في انتماء عرقي يهيئ له الشعور بالوحدة والانتماء، بما يؤسس لوجوده الهُويَّاتي وتمايزه العرقي.

**ثانيا ـ تمثُّلات المعالقة الهُويَّاتية بين الـذَّات والآخر في الرواية:**

فتحت الرواية العربيّة المعاصرة المجال للتطرق إلى قضايا الإنسان وواقعه وتصوير ضعفه وانهزاماته، وقوته ونجاحاته، من زاوية إنسانية تُعبر عنه وتذود في تفاصيلها وحيثياتها، وفي هذا السّياق تعتبر رواية "أن تبقى" للروائية التُّونسيَّة "خولة حمدي"، كغيرها من الرّوايات السابقة عنها تطرح قضية الهُويَّة التّي تكشف عنها أحداث الروايّة وشخصياتها التّي تحتك بالآخر وتتشارك معه وفي الآن نفسه تختلف عنه وتتمايز، مما جعلها في تعالق هُويَّاتي يمثله الصدام والصراع حينا والتَّفاهم و التآلف أحيانا أخرى. وعليه سنحاول فيما يلي من عناصر البحث الكشف عن تجليات التَّعالق الهويَّاتي بين الذات والآخر من خلال الكشف عن مقومات وأركان الهُوية الأساسية وتمثلاتها في النَّسيج النَّصي.

**1– التَّعالق الهويَّاتي في اللُّغة:**

إذا كانت اللُّغة محددة لهويَّة الأفراد والجماعات، فإنَّ بعض الأفراد يعانون من هويَّتهم اللُّغويَّة المتعالقة بين لغتين، فالمتمعن في المتن الروائي يجد أنَّ الرسائل التّي وصلت إلى "خليل دانيال الشاوي" من والده كتبت بلغتين هما العربية والفرنسية جاء في نص الرواية «**انصب اهتمامه الآن على الأوراق التي**

**وصلته للتو. كانت عبارة عن لفافتين منفصلتين. قلّب صفحات الأولى الأكثر اكتنازا. كانت تحمل كتابة عربية. ميزّ الحروف اللينة للغة أبيه وأجداده. يعرف تلك الحروف ويقرأها متفرّقة. يسترجع من دون وعي ذكريات من طفولته... ألف أرنب ... باء، بقرة. لكنّ معارفه المحدودة لن تكون كافية لفكّ شيفرة كومة الورق تلك. وضعه جانبا وأمسك بالثانية. كانت حروفها فرنسيّة رقيقة. خط أنثوي ولا شك. تنفس في ارتياح هذه مفهومة لا ريب**» (حمدي، 2016، صفحة 20). ومنه، تكون هذه الرسائل من أبيه وأمّه، كُتبت الرزمة الأولى بحروف عربية وهي لغة والده وأجداده الذي لايعلم منها شيئا سوى كلمات وحروف عالقة في ذاكرته من زمن مضى، أمّا الرزمة الثانية من الرسائل فقد كتبت بحروف فرنسية وهي اللُّغة التي يتكلم بها ويفهمها بحكم المجتمع الذي يعيش فيه وينتمي إليه، لذلك تيسر عليه فهمها، أمّا الأولى فقد صعبت عليه.

إثر هذا العجز اللُّغوي لجأ " خليل دانيال الشاوي" إلى أمّه التي اقترحت عليه ترجمة رسائل والده رغم عربيتها البسيطة، وربما أرادت بهذا الفعل إحياء ذكريات كانت تعيش داخلها والآن تريد إخراجها للعلن، وقد بدلت ما بوسعها لكي تكون التَّرجمة صحيحة وفاءً لصاحبها ولقارئه من بعده «**استمرت تقرأ وتترجم، متوخية ما أمكنها من الدّقة. تشكل عليها بعض العبارات التي تتجاوز معجمها اللّغوي المحدود، فتقاربها بما تجود به قريحتها من بدائل**» (حمدي، 2016، صفحة 125). ومنه، يكون هذا التَّعالق اللُّغوي بين اللُّغة العربيَّة واللغة الفرنسيَّة ناتج عن تجربة حياة بين زوجين من هويتين مختلفتين ولكل واحد منها لغته الخاصة، ثمرتها ابن واحد يعاني من تعالق هوياتي لغوي يفهم لغة أمه ويجهل لغة أبيه التي يستطيع التواصل بها مع تاريخه وماضيه.

بناء على ماسبق، نخلص إلى أنَّ تعالق الفرد بين هويتين مختلفتين يقتضي منه، تعلم لغتيهما معًا، لأنّ لغة المجتمع الذي ينتمي إليه مهمّة لتواصله وتفاعله مع أفراده، ولغة أصله وجذوره مهمّة كذلك؛ فهي بمثابة الجسر الواصل بينه وبين أهله، قادرة على حفظ هويّته بحكم أنَّ اللغة هي الوعاء الحامل لأفكار

الشعوب وثقافتهم، ومن شأنها أن تساهم في تقوية الترابط والولاء بين الأفراد الذين ينتمون إلى هوية واحدة .

"نادر الشاوي" في سرده لمغامراته المأساوية في الأراضي الفرنسية لابنه " خليل"يحدثه عن تشرده في زقاق المدينة بدون عمل وأن شهادته الجامعية في اللّغة العربية لم تكن كفيلة لحصوله على عمل، يقول: «**لم يكن لديّ شكّ في ذلك منذ البداية، فآخر ما قد يحتاج إليه الفرنسيون هو تعلّم العربيّة لكنّ المؤهلات المطلوبة في سوق الشغل كانت صادمة ومربكة**» (حمدي، 2016، صفحة 43). ومنه، تكون العلاقة بين الـ " أنا" العربي والآخر الغربي مبنية على الانغلاق لا التفتح، خاصة مع معاداتهم للعرب الذين يتهمونهم في كل مرّة بالإجرام والإرهاب، فما بالك تعلّم لغتهم وتعليمها للذين هم في غنّا عنها حسبهم.

**2– التَّعالق الهُوِيَّاتي في الدين:**

إنَّ الأحداث الجسام التّي صورتها رواية "أن تبقى" لـ ( خولة حمدي) كفيلة بأن نبين من خلالها التعالق الهُوياتي في الدين بين أفراد الديّن الإسلاميّ الواحد، وكيفية اختلاف معتنقيه في فهم دينهم، وعليه اختلفوا في طريقة التعامل مع هذا الآخر الأجنبي المختلف عنهم دينيًا وعقديًا وثقافياً.

من خلال النَّص الروائي نلاحظ أن وجود المسلمين في فرنسا قد انقسم إلى فئتين: هما فئة الشيخ المختار وفئة الشيخ البشير، وكلّ من هذه الجماعة وفهمه للنّص القرآني الذي يحدّد به طريقة تعامله مع الآخر الأجنبي.

- **فئة الشيخ المختار:**

وهي الفئة التي تكّن العداوة للآخر الأجنبي وترى بضرورة غلق أبواب التواصل والحوار معه؛ لأنّه مختلف عنهم في دينهم وملتهم، فهذا نادر الشاوي عندما هم بمساعدة ليليان الفرنسية المسيحية، حدثه الشاب علي، بضرورة الابتعاد عن هذه المرأة جاء في الرواية «**انتفضت حين شدّني عليّ من ذراعي على حين غرّة:**

**– من الأفضل أن تتجنّب حركات الشهامة مع تلك المرأة في المرة القادمة ... لا تنسى أنها كافرة»** (حمدي، 2016، صفحة 165) . رغم أنَّ مساعدة المسلّم لغيره من الأفراد المحتاجين للمساعدة والعون، من شيم أخلاق المسلمين التي ليس في الإقدام عليها ذنب أم معصية بل على العكس من ذلك أجرٌ وثواب.

تماشيا مع ما تقدم، نبين أنَّ هذا الشيخ يقوم باستغلال " نادر الشاوي" وأصحابه للقيام بعمليات الحرق والتدمير، لأنه يعلم أنّهم سيجدون في هذا الفعل متنفسًا للثأر من مجتمع يرفض الاعتراف بهم كمواطنين لهم الحق في العيش الكريم كغيرهم من الأفراد. إضافة إلى أمر أساسيّ مهم وهو استغلال الدّين الإسلامي لصياغة وإحكام تعاليم خطابه حتى يقنع مستمعيه يقول: «**يا أيّها النّاس، إنّ الدّين عند الله الإسلام. يا أيّها الضالون الهائمون على وجوهكم، تعالوا إلى دين الله فهو خير لكم. يا أيّها العصاة المذنبون عودوا إلى الله يغفرلكم. هذا الدين منتصر لا محالة شئتم أم أبيتم، فانظمّوا إلى الفئة الغالبة قبل فوات الأوان الإسلام سيصبح قريبا دين أوروبا الأول مهما قاومتموه وعاديتموه . لن تضرنا عداوتكم مادام الله معنا. وإن تنصروا الله ينصركم**» (حمدي، 2016، الصفحات 217-218). إنَّ هذا الشيخ " المختار" ينادي بنشر الدين الإسلامي في بلاد أوروبية الدّين الغالب فيها هو المسيحية، بطريقة تعسفية قائمة على الصدام والعداء ومحاربة الآخر، في حين أنّ الدعوة إلى الله تبارك وتعالى تكون بالحكمة والموعظة الحسنة، الأمر الذي يدفعنا إلى القول إنَّ هذه الجماعة تسعى إلى تشويه صورة الإسلام والمسلمين بتبنيهم لأفكار وقيامهم بأفعال بعيدة كل البعد عن تعاليم الدين الإسلاميّ، وبناءً على موقفهم هذا سيهددون أمن البلاد الفرنسية الديني والاجتماعي والسياسي. مما سيزيد من الضغط الممارس على الأقليات المسلمة في المجتمعات الغربيّة.

- **فئة الشيخ البشير:**

هي الفئة الأكثر تعقلا واتّزانًا، والتي تدعو إلى التسامح الديني والتعايش السلمي مع الآخر، وتنبذ العنف والإجرام والتطرف، لذلك نجد الشيخ البشير حريصا على توعية الشباب محذرا إياهم من التطرف والتعصب الديني موضحا لهم الصورة السليمة عن الدين الإسلامي.

في هذا السِّياق يقول: «**أما الفخّ الأخير والأخطر فهو العدوانية واتباع العنف. وهو أمر للأسف تقع فيه جماعات تسمّى نفسها بالإسلامية، والإسلام منها بريء. الإسلام لم يقل اعتدوا على الآمنين وروّعوا المواطنين. لم يقل هددوا وأفزعوا وعادوا**» (حمدي، 2016، صفحة 179). وبطبيعة الحال، فإنَّ الشيخ "البشير" يقدم الصورة الصحيحة عن الإسلام ويدافع ويذود عنه، بأنه بريءٌ من هذه الجماعات التي تدعي الإسلام ظاهرا وتقوم بمخالفة أوامر الله عز وجل في أقوالها وأفعالها، بتبنيها للعنف والتطرف، والاعتداء وترويع المواطنين بطريقة همجية بعيدة كل البعد عن تعاليم الدين الإسلامي الذي يحث على التعامل مع أصحاب الديانات الأخرى بالبر والحسنى، ومنه فالشيخ البشير استعان بآيات من كتاب الله عز وجل حتى يثبت أحقية ما يقوله مفندا بذلك حجة كل متعصب متطرف يؤمن بالعداء ومحاربة الآخر المختلف عنه في الدين والمعتقد.

انطلاقا مما تقدم، واعتبارا له أمكننا القول إنَّ هذه الجماعات الإسلامية -كجماعة المختار مثلا- تستخدم الدّين كذريعة ووسيلة لتكفير الآخر، وبالتالي محاربته بالعنف والقتال تحت مسمى الجهاد، مما أعطى فرصة لهذا الآخر الغربي للطعن في الإسلام والمسلمين، ومعاملتهم بكلّ عنصرية ملصقا بهم تهمة " التطرف والإرهاب."

**3- التّعالق الهُوياتي في الوطن:**

عملت الكاتبة "خولة حمدي" في رواية " أن تبقى" على معالجة قضية الوطن، والهويَّة الوطنيَّة والمواطنة، في قالب يجعل من الأحداث الروائية كأنّها تصوير لواقع العديد من الأفراد الذين حلَّ بهم المقام في وطن غير وطنهم، ومن الأشخاص الروائية التّي تمثل هذا الجانب نذكر شخصية "نادر الشاوي" الذي تخلى عن وطنه وهاجر بطريقة غير شرعية إلى فرنسا بحثا عن واقع آخر يحقق من خلاله الكثير من الأحلام التّي بقيت عالقة في ذهنه بعيدة عن التحقق في وطنه، ولكنه سرعان ما انصدم ممّا رآه وعاشه يقول في هذا الصدد:«**هل تدري كيف يكون إحساس ورقة الشجر في مهب الريح؟. لا هي تمسكت بغصنها الفتي وظلّت شامخة في عليائها، ولا تهاوت إلى أديم الأرض، حيث تجفّ وتتحلّل لتواصل حياة**

**أخرى في بطن التّراب. تظلّ متأرجحة تتخبط في عجز . لا تملك من أمرها شيئا، وجلّ ما ترجوه هو أن تلفظها الرّيح قريبا علّها تحظى ببعض السكينة ... ولو في العدم**» (حمدي، 2016، صفحة 25). وفي هذه الحالة يكون " نادر الشاوي" قد شبّه أمره ووضعه بورقة الشجر المتعالقة بين غصن الشجر وأديم الأرض، وهذا إن دلّ على شيء إنَّما يدلّ على شعوره بالضياع والتمزق الهُويَّاتي، بعد رحيله من وطنه إلى فرنسا التي لقي فيها كل أشكال الظلم والطغيان، ليدخل في عالم الغربة والشتات فلا هو قادر على الرّجوع إلى وطنه ولا هو قادر على مواصلة حياة المأساة في فرنسا .

إنَّ التَّعالق الهويَّاتي في رواية "أن تبقى" يبدو جلياً، خاصة مع تلك الأحداث التّي أدت إلى انشطار وانقسام فئات المجتمع الفرنسي، فهذا الدكتور" عمر" اتّهم ظلمًا وبهتانًا بالانتماء إلى خلية إرهابية استهدفت تفجير مختبرات كيميائية، الأمر الذي دفع بجماعة المختار من نفس هويّته الإسلاميّة إلى الخروج عن النطاق السلمي بتبني الهجوم الإجرامي، فقد هاجم المختار وجماعته المتطرفة مقر حزب "الجبهة الوطنية" وقاموا بحرقه، مخلفين بهذا الفعل قتلى وجرحى.

جاء في الرواية «**خرج الفرنسيون إلى الشّوارع في احتفال مشهود بانتصار العدالة . رفعوا اللافتات المناهضة للإرهاب وغنوا بصوت واحد من أجل وحدتهم وهويّتهم الوطنية التي تقصي كلّ الدخلاء. رفع قادة الحزب اليمينيّ المتطرّف على الأعناق وتلقوا التَّهاني من أعضائهم وحلفائهم السياسيين، في حين رضخ خصومهم أمام المدّ البشري والتواطئ الإعلامي واستعاروا خطابهم العنصري المتطرف ليوم واحد. كان سلعة رائجة في خضمّ الأحداث الأخيرة التي سيطرت على الرأي العام**» (حمدي، 2016، الصفحات 267-268). وبالتّالي، فإنَّ جماعة المختار المتطرفة التي تتخفى تحت ستار الإسلام والهويّة الإسلامية للقيام بعمليات الحرق والإجرام وسّعت الهوّة بين المواطنين الفرنسيين.

في ظل هذا الجو من الصّراع وفقدان وسائل التَّفاهم، كانت التَّظاهرات و التَّجمعات بشعاراتها وهتافاتها المنادية بالوحدة الوطنيّة على حساب التَّفرقة والتَّمييز العنصري بقيادة اليمين المتطرّف قد فتح الباب أمام التفكك والتقسيم، وزرع الشقاق والانفصال بين المواطنين.

مما يؤكد على هذا، اتخاذ المواطنين الفرنسيين موقفين مختلفين اتجاه الإسلام والمواطنين المسلمين: الموقف الأول ويتضح مما يلي: «**ثمّ وقفنا وجلين مترقّبين. نلمح من موقعنا لا فتات عريضة في رأس الشارع ترفع فوق الرؤوس، كتب عليها بحروف ضخمة لا تخطئها العين " الإسلام خارج فرنسا" ولا " مكان للمسلمين"**» (حمدي، 2016، صفحة 271). لأنّ هذا الدّين في نظرهم يصنع " الإرهاب" والإجرام، وعليه يكون المواطن المسلم يتحمل تبعات جماعات متطرفة مغرر بها من قبل لوبيات عالمية لتحقيق أهداف سياسية واقتصادية ...الخ.

أمّا الموقف الآخر لأبناء الوطن الواحد وهم فرنسيون أصليون كذلك «**فقد انبثق على حين غرّة تيار من البشر. متظاهرون آخرون، يمشون بهدوء لا يثيرون صخبًا من حولهم. قطعوا الطريق بيننا وبين المهاجمين، وحين التفت صفوفهم، ورفعوا عقيرتهم يصيحون: "فاشيون" .... "ارحلوا من هنا" .... "متعصبون" لم تكن تلك الكلمات موجّهة إلينا، بل إلى الآخرين تواجهت المجموعتان لدقائق قليلة، وجوه بيضاء حليقة وشعور شقراء مسترسلة من الجهتين. وتساءلنا في حيرة من يكونون ومن أين جاؤوا فجأة. ثم غلبت الكثرة**» (حمدي، 2016، صفحة 271). وهؤلاء المتصدون لهذه الجماعة هم كذلك فرنسيون أصليون مثلهم، يتسمون بحبّ الوطن والرّوح الوطنية، لأن الذين يحبون وطنهم بالفعل يعملون في سبيل خيره وفي سبيل مصلحته، ومن ذلك الحرص على عدم جعل الهوية الدينية أساسًا للتفرقة والعداء بين المواطنين.

مما تقدم، نخلص إلى أنَّ الوحدة الوطنية تتطلب تظافر مجهودات جهات عدّة، من مواطنين وأحزاب سياسيّة، وكذا قانون الدّولة الذي يجب أن يقوم على العدالة والمساواة بين المواطنين بعيدًا عن التمييز والتفرقة والمحاباة على أساس العرق والدّين، مما ينعكس إيجابًا على استقرار وأمن الوطن وأهله اجتماعيًّا وسياسياً وتنمويًّا .

**4- التَّعالق الهُويَّاتي في العرق:**

العرق من بين المقومات التي تحدد هويّة الأفراد والشعوب، عبر مرور الزمان وتعدد الأماكن، لكن هذا لا يمنع من تحوله إلى سمة يعاقب عليها الإنسان ويمارس عليه كل أشكال الظلم والعنصرية، سوى أنَّه يختلف عمن يجتمع معهم في عرقه وأصله وجذوره، هذا ما صورته الرّواية مع عائلة رستم التي تحمل الجنسية الفرنسية كهويّة على ورق، دون أن يكون ذلك ممثلا على أرض الواقع. تقول مريم رستم: «**يريدون إخراجنا من بيتنا... البيت الذي نعيش فيه منذ ثلاثين عاما. فيه وُلدتُ وأخي، وكبرنا عاما بعد عام. الآن يريدون منّا أن نرحل بحجة أن المنطقة خاصّة بالـ بيض وعلى العرب إخلاء بيوتهم والانتقال إلى الأحياء الخاصة بهم**» (حمدي، 2016، صفحة 12). وعليه، كانت هويتهم في تعالق بين ماضي بجذور وأصول عربيّة وحاضر بجنسية فرنسية، تمنحهم المواطنة بغير حقوق بعد أن سادت العنصرية في الأحياء والشوارع الفرنسيّة، دعمًا من سياسة الدولة حماية لمواطنيها الأصليين من الهجمات " الإرهابية" خاصة «**بعد الأحداث الإرهابية 2015 وما تلاها**» (حمدي، 2016، صفحة 12). التّي أنمت عن هجرة الكثير من العائلات الفرنسيّة من أصل أوروبي من الأحياء التّي تقطنها الأغلبية من العائلات العربيّة تدبيرا وضمانا لأمانهم وسلامتهم.

كان هذا بدعم الدولة التّي يسرت لهم القيام بهذا الفعل «**سياسة الدّولة لم تفعّل طيلة عقدين للحد من الظاهرة، بل لعلها تواطأت ويسّرت المهمة لكلّ من يبغي شدّ الرّحال والالتحاق بفئة أو أخرى، معزّزة الشقاق بين فئات المجتمع. بعد ذلك، قنن الدستور الفرنسي حركة الهجرة الداخلية، وأصبح لزاما على كل من يتقدم بشكوى اختلافه العرقي أن ينتقل من مسكنه**» (حمدي، 2016، صفحة 12). ومن ثَّم، يكون التَّعالق في الأعراق يؤدي إلى صدام حضاري تكون نتيجته مجتمع متفاوت طبقيا يتحدَّد موقع ومكانة الإنسان فيه بموجب عرقه وأصوله. وأيضا يتحدد وفقه المنطقة الجغرافية التي ينتمي إليها الفرد ومقر إقامته وسكناه في حدود مرسومة ومحددة المعالم تخضع للحراسة حفاظًا على أرواح قاطنيها وتفاديًا لأي انزلاقات شرارتها الأولى الاختلاف العرقي.

بامكاننا أيضا أن نفحص مظاهر العنصرية في النَّسيج النَّصي من خلال الرسائل التّي كتبها نادر الشاوي لابنه خليل الشاوي، وهي عبارة عن خلاصة لتجربته في الحياة التّي بدأت أحداثها في الجزائر على قوارب الهجرة غير الشرعية إلى فرنسا، بغية تحقيق مستقبل أفضل ينشده في بلاد غير بلاده، ليصطدم بواقعه المرير حين وصوله، ليعاني من كل أشكال الضياع وفقدان الهُوِيَّة لذلك يكتب لابنه ناصحا بقوله: «**حاول افعل ما بوسعك حتّى لا تعرفه أبدًا. فكل ما صنعته في ماضي وحاضري كان هدفه الأوحد ألا تجرب الضياع كما عرفته**» (حمدي، 2016، صفحة 25). لينقل لهُ كلّ ما عناه من مشكلات ومآسي منذ أن حطّت قدماه على الأراضي الفرنسية، وكذا الأعراق المختلفة التي واجهها وتشارك معها حيثيات أيامه المأساوية، يقول: «**تطلعت إلى المزيج العرقي الغريب الذي تمثل في الوجوه الملونة من الحنطة إلى الأبنوس. أفارقة ومغاربة وأروبيّون. قبل أن تبدر عنّي أي محاولة تواصل، وجدت أحدهم يبرز أمامي، بين أصابعه مدية حادة يلهو بها في نزق يديرها بين أصابعه في رشاقة لا تخلو من تهديد، ويهتف في غلظة:**

**أيها الغريب، ماذا تريد؟.**

**لم أكن أجهل غربتي حتى يذكرني بها.**

**ارحل من هنا .... إنْ كنت لا تريد أن تتأذى**» (حمدي، 2016، صفحة 25).

هذا إن دل على شيء إنما يدل على العنصرية التي تجعل من يعاني منها في غربة مقيتة، هذا ما حدث مع غيره من أصدقاء الزقاق منهم الصغيرة كارمن البكماء ذات الحادي عشر عاما التّي فقدت والديها بعد هجرتهم غير شرعية من الشيشان إلى الأراضي الفرنسية للعمل وطلب الرزق «**لم تكن الشيشان مرغوبًا فيها في الاتحاد الأوروبي، لذلك كانت معظم حالات الهجرة إلى بلدان أوروبا الغربية غير قانونية**» (حمدي، 2016، صفحة 75). ومنه، كانت العنصرية لا يسلم منها حتى الأطفال الصغار الأبرياء سوى لأنهم مهاجرون غير شرعيين من أصول لا تحظى بالقبول والمساواة جاء في نص الرواية «**لم تكن تدرك بعد أن عصابة القرصان تحميها من أقسى ما قد يواجه طفلا يتيما في أرض غريبة ...**

**العنصرية**» (حمدي، 2016، صفحة 76). التي كانت تمارس آنذاك تجاه عدّة أعراق أقدمها السود والعرب. خاصة بعد تزايد أعدادهم. «**وإن كان وجود الصينيين محببًا أوّلا لأن قدومهم مرتبط بالدراسة أو العمل في البحث العلميّ، ثم لأنّ وجوههم المستديرة وأعينهم الضيقة تثير الفضول**» (حمدي، 2016، صفحة 76). ومنه، يكون المجتمع الفرنسيّ الذي يضم مهاجرين من أعراق عدة يخضعهم إلى التمييز والمفاضلة بطريقة عنصرية؛ فالبعض منهم وجوده محببٌ أما البعض الآخر فمهمش خاصة فيما يتعلق بالحقوق وفرص العمل.

**خاتمة:**

ختاما نتوصل إلى أنَّ رواية " أن تبقى" لخولة حمدي تعد أنموذجا من النَّماذج الرّوائية التي طرحت قضية التّعالق الهويّاتي، والتّي سعت من خلالها إلى الكشف عن المخفي والمستور داخل المجتمعات فضلا عن توضيحها لتأثير التفاعل والتّعالق الهويّاتي على المستوى الاجتماعيّ والسياسيّ والإنسانيّ. ويمكننا أن نسجل مجموعة من النتائج التّي توصلنا إليها من خلال دراستنا هذه ولعل أهمها:

– الهوية مشروع يتأسس انطلاقا من خصوصيات الأفراد، ومهما تم الانفتاح على الآخر والتفاعل معه، إلا أنّها تبقى محافظة على سمتها الراسخة في الفرد.

– الهويّة العرقية قد تكون حائلا بين الأفراد وحقوقهم إذ عكست الرواية من خلال شخصياتها المهمشة الظلم الاجتماعي والتمييز العنصري الممارس عليهم من قبل أفراد المجتمع من جهة وكذا نظام وقانون الدولة من جهة أخرى.

– إنَّ التفاعل والتعالق الهوياتي بين الذات والآخر داخل المجتمعات إن لم يستغل بطريقة إيجابية، سيحول ـ فيما يبدو ـ إلى عنصر هدم وعرقلة للحركة الاجتماعية والسياسية إن تم تغييب أسس التفاهم والتّعايش والحوار البنّاء.

– إنَّ التعالق الهوياتي قد يؤدي إلى نبذ الخصوصيات الهوياتية للأفراد، ومن ثَّم يكون مصدر صدام وصراع في الحياة الإجتماعية والسياسية.

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

– إن الخلل لا يكمن في الهوية وتعددها وتنوعها وإنما يكمن في المستوى الذي يحكم عقول الأفراد ويتحكم في مسار حياتهم، باتخاذهم من الاختلاف الهوياتي ذريعة وعنوان للعداوة والبغضاء والتفرقة والعنصرية.

## CONCLUSION

In conclusion, we conclude that the novel "To Remain" by Khawla Hamdi is an one of examples.

The novelist who raised the issue of identity interdependence, through which she sought to reveal what is hidden and concealed within societies, in addition to clarifying the impact of identity interaction and interdependence on the social, political and human levels. We can record a set of results that we reached through this study, perhaps the most important of which are:

- Identity is a project that is founded on the privacy of individuals, and no matter how open they are to others and interact with him, but it remains preserving its fixed characteristic in the individual.
- Ethnic identity can be a barrier between individuals and their rights, as the novel reflects through its characters.
- Marginalized social injustice and racial discrimination practiced against them by members of society on one hand and also the system and the state's law on the other hand.
- The interaction and identity interdependence between self and the other within societies, if not exploited in a positive way, will apparently turn into an element of destruction and obstruction of the social and political movement if the foundations are absent.
- Understanding, coexistence and constructive dialogue.
- Identity interdependence may lead to the rejection of individuals' identity identities, and thus be a source of conflict and a struggle in social and political life.
- The problem does not lie on identity and its multiplicity and diversity, but rather lies on the level that governs the minds of individuals and controls the course of their lives by taking identity differences as a pretext and a title for hostility and hatred, discrimination and racism.

ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

**قائمة المراجع:**


1. البشير ربوح وآخرون، (1438هـ- 2016م): السؤال عن الهوية في التأسيس والنقد والمستقبل، منشورات ضفاف، الجزائر العاصمة ـ الجزائر.
2. برنارد لويس، (2006)، الهويات المتعدّدة للشرق الأوسط، تر: حسن بحري، دار الينابيع، دمشق.
3. الخليل بن أحمد الفراهيدي: (2004)، كتاب العين، ترتيب ومراجعة داود سلّوم، داود سلمان العنكبي، إنعام داود سلوم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ـ لبنان.
4. خولة حمدي: (2016)، أن تبقى، كيان للنشر والتوزيع، الجيزة، مصر.
5. مالك بن نبي، (2006)، ميلاد مجتمع، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، سوريا.
6. محمد بودهان، (22 نوفمبر2013)، الدولة والهويّة، hespress.com.cdn.ampproject.com، يوم الإثنين11 مارس/2024.


**Bibliography List:**


1. Al-Khalil bin Ahmed Al-Farahidi,(2004), The Book of the Eye, arranged and reviewed by Daoud Salloum, Daoud Salman Al-Ankabi, Enaam Daoud Salloum, Lebanon Library Publishers, Beirut – Lebanon.
2. Al-Bashir Rabouh and others, (2016), The Question of Identity in Foundation, Criticism and the Future, Darf Publications Algiers – Algeria.
3. Ahmed Boudhan, (November 22, 2013), The State and Identity Saturday, Website, hespress.com.cdn.ampproject.com, , (consulted on Monday 11 March / 2024).
4. Bernard Lewis, (2006), The Multiple Identities of the Middle East, translated by Hassan Bahri, Damascus, 1st ed., 2006. Malek Bennabi: The Birth of a Society, translated by Abdel Sabour Shahin, Dar Al Fikr, Syria.
5. Khawla Hamdi,(2016), To Remain an Entity for Publishing and Distribution, Giza, Egypt.
6. Malek Bennabi, (2006), The Birth of a Society, translated by Abdel Sabour Shahin, Dar Al Fikr, Syria.

مجلة الحكمة للدراسات والأبحاث المجلد 04 العدد 06 (20) 2024/11/15
ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

# The identity relationship between the self and the other in the novel "To Remain" by Khawla Hamdi.

**fadia boufroua** [1]
[1] Mohamed Seddik Ben Yahia University Jijel, (Algeria)
fadia.boufroua@univ-jijel.dz
**Nihad KheIIouf** [2]
[2] Mohamed Khider University Biskra, (Algeria)
nihad.KheIIouf@univ-biskra.dz

**Abstract:**

The researcher of the novel "To Remain" by "Khawla Hamdi" finds it embodying the issues of the contemporary Arab novel, especially those related to identity, otherness, and the issue of the relationship with the other, and preoccupied with the questions of the present in raising controversial concepts such as: religious identity, ethnic identity, and cultural identity and their differences between the characters of the novel, which resulted in clash at times and understanding at other times. From here came the study built on a central problem: How did this novel represent the relationship between the self and the other? Is the identity connection an element of growth and construction for societies or an element of destruction and obstruction of social mobility?

It will seek to answer these questions by revealing the elements that make up identity and thus be able to highlight the role of novelistic writings in addressing the identity problem that rages in the depths of societies and stirs their folds, arriving at results, the most important of which is that the problem does not lie on identity and its multiplicity and diversity, but rather lies on the level that governs the minds of individuals and controls the course of their lives.

**Keywords: Identity, self, The other, to remain, Khawla Hamdi.**